إذا التمس الأقوام فى الناس ذكرهم فذكرُ بنى العجلان من أقبح الذكر
وقد غبر العجلانُ حيناً إذا بكى على الزاد ألقته الوليدة فى الكسر
فيصْبح كالخفاش يدلكُ عينهُ فقبح من وَجه لئيم ومن حجر

فجعل للقوم صورة ساخرة فنية . ووصفهم بأنهم ألأم الناس ، يبخلون على أبنائهم بالزاد حتى ليقتلهم الجوع . فيبكون ويدلكون أعينهم بأيديهم ، وتمل الوليدة صياحهم فتلقى بهم فى زاوية البيت . وصورة البخل معروفة فى الجاهلية لكنها هنا أقدر وأقوى حين تروى جوع القبيلة وفقرها ورثاثة النساء وألبستهن الزرية الوسخة وذلك ليصوّر قلة خطرها فى الناس وقعودها بين القبائل مقعد الفقير البائس المحتاج ، وهو من أقذع الهجاء . . .

وبمثل هذه الصور كان الأخطل يرمى خصومَ الأمويين فيحطّ من قدرهم ، ويسيّر سوءاتهم بين الأقوام ، فاعترف له الخلفاء بذلك ، وقرّبوه لجرأته وبذاءة لسانه ، وخاصة حين يصف الأعداء بالخنافس ويتهمهم بالفحش والزنى وضآلة الأنساب . فى ألفاظ بدوية خشنة وصور جاهلية ساخرة . وهو إلى ذلك يقرّر حق الأمويين فى الخلافة ، ويطالب بدم عثمان فيدخل من باب السياسة الواسع .

وأما جرير فكان ساخراً يهجم على الأقوام بصور مضحكة فيعتمد على النكتة فى هجائه ، ويقول فى بنى التيم :

يا تيم إن وجوهكم — فتقنعوا — طبعتْ بألأم خاتم وكتاب
قومٌ إذا حضر الملوكَ وفودُهمْ نُتِفتْ شواربُهم على الأبواب

فهو يحقرهم ويصور ذلهم وخضوعهم واستكانتهم ، وتضرّعهم على أبواب الملوك فلا يصلحون لمجد ، ولا يقفون لعز ، لأنهم الأذلة المستضعفون .

ودخل الخوارج فى هذا الباب كذلك فأدلوا بدلوهم وفخروا وهجوا ، ولكنهم وقعوا فى أساليب الجاهلية . أما الكميت فى هاشمياته فقد صارح بسياسته نحو الخلافة فقال :

أهوَى عليًّا أمير المؤمنين ولا أرْضى بشتم أبى بكر ولا عمرا